المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

«بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي»

الأستاذ الدكتور

خليل أحمد عمايرة

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الاسلامي للتنمية

وائل

المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

(بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)

تأليف

الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايره

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبد العزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الإسلامي للتنمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٣/٨/١٦٧٨)
٤١٥
عمايرة ، خليل أحمد
المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي/ خليل أحمد عمايرة . عمان: دار وائل، ٢٠٠٣.
(٥٥١) ص
ر.إ. : ٢٠٠٣/٨/١٦٧٨
الواصفات: اللغة العربية / قواعد اللغة / اللسانيات

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(ردمك) ISBN 9957-11-339-9

* المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي
* الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايرة
* الطبعـــة الأولى ٢٠٠٤
* جميع الحقوق محفوظة للناشر

تنفيذ وطباعة الرجي بيروت - لبنان
تلفاكس: ٠٠٩٦١١ ٢٧٢٢٢٥
خليوي: ٠٠٩٦١٣ ٣٣٤٦٤٨

دار وائل للنشر والتوزيع

شارع الجمعية العلمية الملكية - هاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٥٨٣٧
فاكس: ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ - عمان - الأردن
ص.ب (١٧٤٦ - الجبيهة)
www.darwael.com
E-Mail: Wael@Darwael.Com

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

المحتوى

الرقم	البحث	الصفحة
1.	الاهداء	3
2.	مقدمة	7
3.	القبائل الست والتقعيد النحوي	15
4.	وقفة مع نبر بعض أوزان الماضي والمضارع (دراسة وصفية)	39
5.	دعوة إلى قراءة جديدة للنحو العربي (وقفة مع الاسناد)	71
6.	رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية على ضوء علم اللغة المعاصر	103
7.	رأي في بناء الجملة الاسمية وقضاياها (دراسة وصفية)	135
8.	المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الاعراب (في نماذج من سورة البقرة)	181
9.	اعراب المعنى ومعنى الاعراب في نماذج من القرآن الكريم...	217
10.	النظرية التوليدية التحويلية وأصولها في النحو العربي.......	247
11.	حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي	267
12.	البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي	289
13.	اللغة بين الانسان والفكر	311
14.	من نحو الجملة الى الترابط النصي	337
15.	في تحليل لغة الشعر	369

الرقم	البحث	الصفحة
16.	وقفة مع صلوات في هيكل الحب – للشابي	439
17.	التطور اللغوي المعاصر بين التقعيد والاستعمال	495
18.	الاعداد الثقافي لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها	535

المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الإعراب في نماذج من سورة البقرة

المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الإعراب

في نماذج من سورة البقرة *

إن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى التي حمل فيها مهمة الرسـالة، عمل على توضيح هذه الرسالة إلى أمته التي ستبقى تحملها إلى يوم يرث الله الأرض ومـن عليها، فكان يجلس إلى أصحابه رضوان الله عليهم، يعلمهم كل ما يتصل بحـياتهم الجديـدة، ويفسـر لهم دستورهم الجديد، ويبين كل ما يبنى على آيات الكتاب العزيـز مما يجب أن يعرفوه وأن يتصرفوا على ضوئه، فنشأ من بين الصحابة رضوان الله علـيهم مـن حملـوا هـذه المهمة، فأخذوا يبينون للأمة ما يتعلق بالآيات وأسباب نـزولها، وتفسـيرها بغيرها من الآيات، أو بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكـان من أبرز هؤلاء ابن عباس وعبد الله بن عمر وأبي رضي الله عنهم أجمعين، ثم توالـت الجماعـات التي أخذت هذه المهمة، مهمة بيان معاني الآيات القرآنية وتوضيح مقاصـدها ومدلولها، توالت مع توالي السنين، وانتهجت في ذلك مناهج مختلفة متعددة طـبقا لحاجـة عقول الناس في التوضيح، واستنادا إلى احتكاك العرب بغيرهم من الأمم التي دخل الإسلام إليها، أو دخلت هي في الإسلام.

فقـد كانت طريقة السلف الصالح في توضيح الآيات وبيان قصدها في أول الأمر يسيرة جدا، يعتمد فيها المفسر على توضيح آية بأخرى أو بحديث، كما ذكرنا، ولكن هذا المـنهج لـم يعد هو المستعمل في مجتمع اختلط فيه العرب بغيرهم، ونشأت فيه الفرق، وتعـددت مناحـي البحـث الفلسفي والكلامي، وعاشت فيه الفطرة السليمة محنتها أمام الشـعب الهـائل المـريع فـي المبادىء وفي تفسير المفاهيم الدينية: القضاء والقدر،

---

* مجلة الدراسات الإسلامية ـ العدد الأول ـ المجلد السابع والعشرون ـ الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام اباد (باكستان) ـ 1413هـ - مارس 1992م.

والتسيير والتخيير، والتفويض والجبر، والثواب والعقاب... وغيرها كثير كثير، فبعد أن كانـــت موضع تسليم، يأخذها العلماء والعامة بغير تعقيد فلسفي، أو تأثير كلامي، أو ميل صـــوفي (والراســـخون فـــي العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (آل عمران:7) أخذ القـــوم يســـرفون في توجيه هذه المفاهيم الوجهة التي يرتضون أو يحبون تارة متأثرين بمفاهـــيمهم وأخـــرى منحرفيـــن بـــأهوائهم، وكل يحاول أن يجعل النص القرآني يوافق مذهـــبه، فإن لم يوافقه مال به إليه بالتأويل الفلسفي أو العلمي أو الكلامي أو الصوفي، أو باســـتخدام بعـــض المفاهـــيم العلمـــية التـــي أخذ أثرها يظهر في تفاسير المتأخرين والمحدثيـــن، بخاصة عندما تداخلت العلوم وأخذ كل فرع يعتمد على الآخر في جانب من جوانبه: الرياضيات والطبيعيات والفلسفة والمنطق والنحو وعلم اللغة.

ومـــن المســـلم به أن القرآن الكريم نزل ليكون دستورا للأمة إلى أن يرث الله الأرض ومـــن عليها، يدعو إلى توحيد الله والسير على طريق رسوله، طريقا واضحا لا لبس فيها، تقتضي سيرا واضحا لا انحراف فيه.

وقـــد أدرك العلمــــاء آنذاك أن الأمر ليس باليسير، أقصد أمر توضيح كتاب الله لطالبـــيه في تلك الأجواء، وأمام هذه التيارات المتعددة، فانصرف للتفكير والعمل نفر من الغيوريـــن علـــى دين الله ألا تشوبه شائبة، وألا تقود الناس عنه تيارات الإلحاد البراقة، معتمدة على فلسفة ضالة، أو على أفكار منحرفة وكان على هؤلاء الغيورين أن يتعلموا عـــددا مـــن المعارف ليتسنى لهم أمر القيام بما كان عليهم أن يفعلوه لتيسير فهم آيات الكتاب المبين، وكان النحو والصرف واللغة والبلاغة، من أبرز المعارف والوسائل التي علـــى المفسر أن يتقنها، إذ إن الأصل أن هذه العلوم قد قامت لخدمة النص القرآني، أو لضبط اللغة في ألسنة أصحابها وفي ألسنة المتعلمين الوافدين أو الداخلين في الإسلام.

وما أن جاء القرن الثالث الهجري تقريبا، حتى أخذت هذه العلوم يسير كل منها في خطه الخاص يبني صرحه باستقلال عن الآخر. فكان لكل علم أعلامه وعلماؤه الذين حرصوا على تطويره على ضوء أمثلة وشواهد تؤخذ تارة من القرآن الكريم، وغالبا من غـــير القـــرآن الكريم. وكان النحو أبرز هذه العلوم في هذا المنهج. فما أن وضع الخليل

بن أحمد –رحمه الله– معالم نظريته الرئيسه (العامل) حتى أخذ العلماء من بعده يتفننون في تطبيق بنود هذه النظرية على كل شيء: على الشعر والنثر، على الأمثال والأقوال، على الآيات والأحاديث،...الخ، ولكن ذلك كان بعد أن أرسيت معالم هذه النظرية أو هذا المنهج على أسس لغة القبائل الست: أسد وهذيل وتميم وقيس وبعض كنانة وبعض الطائيين، مما جعل فرصة كبيرة بين العلماء للاختلاف فانقسموا إلى بصريين وكوفيين وبغداديين ثم إلى مصريين ومغاربة، وفي كل قسم اختلافات كثيرة بين علمائه، وجعل فرصة أخرى لما حكم عليه بالشاذ أو النادر أو القليل، فالشاذ ما خالف القاعدة النحوية ((حتى وإن كان كثير في كلام العرب)) كما يقول أبو علي الفارسي.

وأخذ علماء النحو بخاصة يسرفون في تفريع أبواب النحو، ومناقشة فرضيات نحوية لا وجود لها أحيانا في اللغة والاستعمال اللغوي، فكثرت عندهم أوجه الإعراب وتعددت للكلمة الواحدة في الجملة الواحدة، فهذا يعرب الكلمة مفعولا من أجله، وآخر يعربها مصدرا نائبا عن فعله وثالث يعدها حالا ورابع... الخ.

ولا ريب أن معنى الجملة ينصرف على ضوء كل إعراب وجهة تبتعد عن الأخرى ابتعادا قليلا أو كثيرا.

فلو كان أحدنا هو المتكلم، وسمع عددا من النحاة يختلفون في توجيه جملته بحسب اختلافهم في إعراب كلمة فيها، على عكس ما أثر عن العرب في قولهم: (الإعراب فرع المعنى) أي: أنهم يوجهون المعنى على ضوء الإعراب، لوجد لزاما عليه أن يقول في كل مرة: كلا ليس هذا ما عنيت وقد لا يقع المختلفون على ما عني المتكلم أو قصد بجملته، فإن كانت جملته ملتبسة تحتمل هذا التعدد في الوجوه، عيب ذلك عليه، وعد من غير الفصحاء ولا من البلغاء، وإلا كان المختلفون من الحذاق الذين يبحثون في ما هو ترف لغوي، وليس بحثا عن النص اللغوي الذي هو وسيلة تحتمل رسالة بين السامع والمتكلم، وتؤدي دورا دلاليا تترتب عليه أشياء بينهما، فينقلب النحو بعمل المختلفين إلى صنعة تجعل من نفسها غاية وليس وسيلة كما وضعت أصلا لتكون.

يختلف النص القرآني عند المسلمين عن كل النصوص، فهو النص الذي لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الشافع المشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو دستور الأمة إلى يوم الدين، يتضمن توضيحا لكل ما يحتاجه المرء في أمور عبادته وحلاله، وما حرم عليه، وهو منزه عن كل أسباب المهاترات والاختلافات النحوية أو الصرفية أو البلاغية، فعبارته بينة جلية، ولكن النحاة عندما تعرضوا لإعراب القرآن، كموضوع أو درس تطبيقي لمواد نظريتهم (العامل)، أخذوا يختلفون في إعراب كلمات آياته وهم يعلمون قوله تعالى: (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) وقوله تعالى (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فهو النور الهادي إلى الصراط المستقيم، وإنك واجد أحيانا في كتب إعراب القرآن ما يزيد على اثني عشر وجها من وجوه الإعراب في كلمة واحدة في آية واحدة، وهذا يتبعه – كما ذكرنا – اثنا عشر وجها من وجوه المعنى إذا عكسنا قول العرب (الإعراب فرع المعنى) ولكننا نرى أن المعنى واحد، اهتدى إليه هذا النحوي أو ذاك، أو هذا المفسر أو غيره، وهو المعنى الذي يجب أن تخضع القاعدة النحوية له، أو أن تبنى أصلا عليه، فضلا عن أن تسير معه في خطين متوازيين قد لا يلتقيان، أو أن يعد هو من (الشاذ) قياسا عليه، أو على عدم استيعابها إياه، وسنعمل، في ما يلي من المسائل على أن نبين ذلك:

مسألة: (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون) البقرة: 138

.

الرأي الراجح مما جاء في كتب التفسير ومعاني القرآن[1] أن هذه الآية ترجع إلى الآية الخامسة والثلاثين: (.... قل بل ملة إبراهيم) ويكاد يجمع المفسرون على أن المقصود هنا بصبغة الله التنويه بعادة كانت –وما تزال– عند اليهود والنصارى[2] "أنهم إذا أرادوا تنصر أطفالهم جعلوهم في ماء (المعمودية) لهم يزعمون أن ذلك تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية، فقال الله تعالى ذكره: إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به (كونوا هودا أو نصارى

تهـــتدوا) قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هـــي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هـــداه، وقيل: إن عملهم هذا؛ أي وضع المولود في ماء، بمثابة الختان، فأوضح الله لهم إن ملـــة إبراهيم وصبغته الختان، اختتن إبراهيم وسار عليها محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم الدين.

جـــاء فـــي (صـــبغة) قـــراءة بالـــرفع، وليس هنا موضع مناقشة الاختلاف في توجـــيهها، ونرتضي أنها على الأصل، هي صبغة الله، أي ملة إبراهيم أو دينه، أو دين الإسلام.

صبغة الله (∅ + خبر)

أما قراءة النصب (صبغة الله) ففيها وجوه:

قيل: هي بدل من ملة، وهذا رأي الأخفش[4]، وقد رفضه أبو حيان[5] بقوله "... وأما البدل فهو بعيد، فقد طال بين المبدل منه والبدل، ومثل ذلك لا يجوز".

وقيل: هي منصوبة على تقدير اتبعوا، وهذا رأي الكسائي[6].

وقـــيل: هي منصوبة انتصاب المصدر المؤكد عن قوله قولوا آمنا بالله، هذا هو الـــرأي الذي أخذ به أبو حيان[7] بقوله: "...والأحسن أن يكون منتصبا انتصاب المصدر المؤكـــد عـــن قوله: قولوا آمنا، فإن كان الأمر للمؤمنين كان المعنى صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم، وإن كان الأمر لليهود والنصارى فالمعنى صبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا".

وقيل: هو نصب على الإغراء؛ أي: الزموا صبغة الله[8] ونقول: إن وجود قراءة بالـــرفع (صـــبغة) يقطع الشك باليقين، ويجعلنا نيمم شطر وجه إعرابي واحد ليس غير، فالجملة في وضعها مع حركة النصب جملة محولة عن جملة أصل هي:

م محـــذوف + خبر ∅ + صبغة (بالرفع)، وإذا ما كانت هناك غاية أخرى تقصد بالجملة فإن عنصر التحويل (الفتحة) يؤدي الدور، والفتحة كما بينا[9] عنصر من عناصر

تحويــل الجملــة مــن معــنى إلى معنى آخر في عدد من أبواب النحو أهمها: الإغراء والــتحذير والاســم المنصوب بعد واو المعية، وكذلك الفعل المضارع المنصوب بعد واو المعــية، والاســم المنصــوب بعد كم الاستفهامية، وكذلك الاسم المنصوب مع ما يسمى أســماء الأفعال، والمنصوب في جملة الاختصاص، فهي منصوبة لتؤدي معنى آخر غير الــذي كانت تؤديه في الجملة مرفوعة أو مجزومة، ولهذا الغرض كان العربي، الذي لم يكــن يعــرف شيئا من أبواب النحو التي تعرف، ولم يكن يعرف عاملا ولا معمولا، يغير صــوت حركة الكلمة لتعبر عن التغير الذي جرى في المعنى في ذهنه، ولما لم يكن أمر الوصــول إلى ما في الذهن من الأمور الممكنة إلا بالكلمات فإننا نستدل للتغير الذي في ذهــن القائل: الفضيلة (بالضمة) وبالفتحة عندما يقول: الفضيلةَ، وليست الفتحة بأثر من عامل مقدر بالزم، بل هو بمعنى التحذير[10].

فالجملــة هــنا (بصــيغة) منقلبة (محولة) عن جملة توليدية أصل، فهي جملة تحويلية قائمة على عنصر التحول، وهو التغير في الحركة الإعرابية، الفتحة لتفيد معنى الإغراء.

وأمــا رفــض أبي حيان هذا الرأي (إنها منصوبة على الإغراء) بحجة أن هذا منقوض بما جاء في آخر الآية (ونحن له عابدون)، فيحتاج إلى إعادة نظر، وقبل توجيه آخــر الآيــة هذا، نرى أن نشير إلى أن مردّ الرأي الذي استحسنه أبو حيان سابقا (أنه منصــوب على المصدرية) يعود إلى ما نقول به وإن اختلفت تسمية التخريج، فمرده ــ فــي مــا نــرى ــ إلى أن أبا حيان قد اعتمد الحركة الإعرابية هنا (الفتحة) قيمة دلالية تخــتلف بهــا الجملــة فــي معناها عن المعنى الذي تؤديه بالضمة، ولكنه انصرف إلى تخــريجها بالنصب على المصدرية، والمصدرية هنا للتوكيد، وقد يلتقي التوكيد هنا، أي توكــيد الإشــارة إلــى صبغة الله، بالإغراء بها فكلاهما يشير إلى الحث على الأخذ بها والتــباعها واجتــناب نواهــيها والاستمســاك بأوامرها، ولكن أبا حيان يمتنع عن القول بالإغــراء لأنه يرى نقضه بآخر الآية، وكأني به يستحسن الإغراء لولا ما يراه في آخر الآية، وهنا نقول إن آخر الآية لا يتناقض مع أولها على الإغراء مطلقا، ففي الآية ثلاث جمل:

صبغة الله = على الإغراء.

من أحسن من الله صبغة = على التعجب.

نحن له عابدون = قرار أو تقرير في جملة خبرية.

فكان الكلام موجه إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو إلى من هم يتلون الكتاب حق تلاوته من غير تحريف علماء بني إسرائيل، وهؤلاء سيؤمنون بمحمد، فكان الخطــاب إلــى فئة واحدة، ولكنه خطاب لهم جميعا بالإغراء للاستمساك بصبغة الله أمام تــيار الانحــراف والكفــر والإدعاء بأن الجنة للكافرين لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصــرانيا، فيحث الله سبحانه للاستمساك بصبغته التي هي ملة إبراهيم عليه السلام بعد أن بيــن فــي الآية السابقة أن الذين يعرضون عن دين الله زاعمين أنهم على حق، أو أنهم على دين نبي آخر، هم في شقاق وسيكفيكهم الله يا محمد وهو السميع العليم، وما شــقاقهم وادعــاؤهم إن كــل فــئة تتبع نبيها إلا كذب واتباع للهوى هوى النفس، فكل الأنبــياء على حق، وما جاءوا به جميعا هو الحق الذي لا يفترق ولا يتفرق، فالأولى أن لا يتفرق أتباعه، تزعم كل فرقة أنها على الحق الذي يدخل أتباعه الجنة ولغيرهم النار، فصبغة الله هي صبغة الله لا تتبدل أنزلت على إبراهيم أم على غيره من الأنبياء منه إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، صورها الله في بيان رفيع و تناسق عجيب، وتتابع لا يملكــه، ولا يســتطيع وضع حبّاته في عقده إلا رب البشر: يقول تعالى (وقالوا كونوا هــودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) 135 (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتــي موســى وعيســى ومــا أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مســلمون) 136 (فــإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإن هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) 137 (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) 138 سورة البقرة.

وقــد قال صاحب الميزان في هذا قولا جميلا مفيدا رأيت أن أورده هنا: "...لما حكــى مــا يأمــره بــه اليهود والنصارى من أتباع مذهبهم ذكر ما هو عنده من الحق

(والحق يقول) وهو الشهادة على الإيمان بالله، والإيمان بما عند الأنبياء من غير فرق بينهم، وهو الإسلام، وخص الإيمان بذكر الله وقدمه وأخرجه بين ما أنزل على الأنبياء لأن الإيمان بالله فطري لا يحتاج إلى بينة النبوة ودليل الرسالة.

ثم ذكر سبحانه ما أنزل إلينا وهو القرآن أو المعارف القرآنية، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ثم ذكر ما أوتي موسى وعيسى وخصهما بالذكر لأن المخاطبة مع اليهود والنصارى، وهم يدعون إليها فقط، ثم ذكر ما أوتي النبيون من ربهم، ليشمل الشهادة جميع الأنبياء فيستقيم قوله بعد ذلك: لا نفرق بين أحد منهم.

مسألة: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة: 177)

في هذه المسألة ثلاث قضايا خلافية[11] الأولى في قوله: (البر) فإن شئت رفعت البر، وإن شئت نصبته[12] فإن رفعت فهي اسم (ليس) وخبرها: (أن تولوا)، وإن نصبت كانت الخبر تقدم على اسمه المصدر المؤول، فيكون المعنى مع النصب[13] ليس توليتكم وجوهكم البر كله، ومع الرفع ليس البر كله توليتكم، والنصب قراءة حفص وحمزة وقراءة الجمهور (باقي القراء) بالرفع[14].

تشير مناسبة[15] هذه الآية إلى أنه كثر الخوض في نسخ فريضة القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وطال الكلام، حتى كأنه صار لا يراعي بطاعة الله إلا التوجه للصلاة، فأنزل الله هذه الآية تبين أنه ليس البر كله في التوجه للصلاة، وإنما هناك وسائل أخر لتحقيق البر، عددها سبحانه وتعالى، ورأسها الصلاة، فإنها عماد الدين، وإن قُبلت نظر في عمل ابن آدم، وإن رُدّت رد.

وقيل في مناسبتها غير ذلك من أن النصارى كانوا يتجهون في صلاتهم نحو المشرق، وكان اليهود يتوجهون نحو المغرب، فبين الله لهم أن ليس البر في التوجه نحو المشرق أو المغرب، وقيل غير ذلك[16].

ومهما تكن المناسبة – ونحن نأخذ بالرأي الأول- فإن الآية تشير إلى أن البر هنا هو ليس الصلاة من غير عمل، بل هو إيمان في القلب وتصديق بالعمل، يقول ابن عباس[17]: "ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا، فهذا منذ تحول من مكة إلى المدينة، ونزلت الفرائض، وحد الحدود، فأمر الله بالفرائض والعمل بها".

ويعود القول في إعراب هذه الجملة إلى سلسلة من القواعد والقوانين النحوية:

إذا اجتمع معرفتان فالمتقدم هو المبتدأ، وهو رأي جمهور النحويين، ولغيرهم رأي آخر باعتماد الأكثر تعريفا للابتداء[18] ، وكان وأخواتها (ومنها ليس) أفعال ناقصة تدخل على الجملة الاسمية فتحولها إلى جملة فعلية وترفع المبتدأ (أو يبقى على حاله كما يرى أهل الكوفة) ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها.

ونقول: هذا الكلام الاعتماد فيه على المبنى كبير، والغاية منه تبرير الحركة الإعرابية، أما جانب المعنى فيه فضعيف إن كان موجودا، فهم يجعلون (ليس) بمنزلة الفعل المتعدي وما يليها بمنزلة فاعلها، وما يليه بمنزلة المفعول به[19] وهذا هو الوجه، فإن توسط الخبر بينها وبين اسمها فهو قليل، وقد ذهب ابن درستوية[20] إلى منعه تشبيها لها بما أراد الحكم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسيط خبر ما، ورد عليه أبو حيان بقوله: "وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب"[21] ولكنه قال: "والوجه يلي المرفوع".

فالحوار كله كما ترى حول جواز توسط الخبر، وتشبيه (ليس) بالفعل تارة وبالحرف تارة أخرى، وحول رفع اسمها ونصب خبرها... الخ، ولكن أحدا لا يتحدث عن تأثير (ليس) في معنى الجملة، ولا عن معنى الجملة إذا توسط الخبر أو قل قيل توسطه.

والذي نراه: أن (ليس) أداة نفي تدخل على الجملة التوليدية الاسمية فتحولها إلى جملة تحويلية منفية من حيث المعنى، اسمية من حيث المبنى[22] فهي لا تدل على

مسمى لتكون من الأسماء، ولا هي تدل على حدث وزمن لتكون من الأفعال، والاسم ما يدل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن، والحرف ما ليس كذلك كما يبين سيبويه[23].

وترى أيضا أن المبتدأ هو المسند إليه في الجملة، والخبر هو المسند كما قرر النحاة والبلاغيون بإجماعهم، فالكلمة التي تصلح أن تكون المسند إليه في الجملة هي المبتدأ تقدمت أم تأخرت.

ونرى كذلك أن ما يؤثر على بؤرة الجملة (وهو المبتدأ في الاسمية والفعل في الفعلية) يؤثر على الجملة بكاملها، وما يؤثر على جزئية فيها فتأثيره محصور في تلك الجزئية من حيث الدلالة[24] فيكون تحليل الجملة السابقة كما يلي[25]:

البر أن تولوا وجوهكم..... = (م + خ)

تحولت إلى ليس ⇐ البر أن تولوا وجوهكم..... = (م + خ)

أما الفتحة على (البر) في قراءة، وهي التي منعها ابن درستوية[26] ويرى فيها أبو حيان أن الانصراف إلى غيرها (قراءة الجمهور بالرفع) أولى.

ويقول فيها القرطبي[27]: "ويقوى قراءة الرفع أن الثاني معه الباء إجماعا في قوله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" ولا يجوز فيه إلا الرفع، فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له، وكذلك هو في مصحف أبي بالباء (ليس البر بأن تولوا) وكذلك في مصحف ابن مسعود أيضا، وعليه أكثر القراء".

قلنا: أما الفتحة فمردها إلى عادة لغوية عند بعض قبائل العرب،و هذا أمر مألوف، فقد ورد عنهم ما رفع فيه الركنان بكان، وما جاء فيه بعدها بالنصب أو الرفع والنصب[28].

أما القضيتان الثانية والثالثة ففي قوله تعالى: (...والموفون ... الصابرين).

فقيل: يكون (الموفون) عطفا على (مَنْ) لأن (مَنْ) في موضع جمع ومحل رفع؛ كأنــه قــال: ولكن البر المؤمنون والموفون، و(الصابرين) نصب على المدح أو بإضمار فعل، قاله الفراء[29] والأخفش[30].

وقــال القرطبــي[31]: "والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك إفراد الممدوح والمذموم، ولا يتبعونه أول الكلام، وينصبونه".

وقال الزجاج[32]: "الأجود أن يكون (الموفون) مرفوعا على المدح؛ لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح، المعنى: هم الموفون بعهدهم.

وجائــز أن يكون معطوفا على (من)، والمعنى: ولكن البر، وذو البر المؤمنون والموفون بعهدهم"

وقال أيضا[33]: "وفي نصبها (الصابرين) وجهان: أجودهما المدح كما وصفنا في النعــت إذا طــال، المعنى: أعني الصابرين، قال بعض النحويين أنه معطوف على ذوي القــربى، فكأنه قال: وآتي المال على حبه ذوي القربى والصابرين، وهذا لا يصلح إلا أن يكــون (والموفــون) رفــع على المدح للمضمرين، لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول".

وقــد قــال الكســائي[34] بالــرأي القــائل بعطف (الموفون) على (مَن) وعطف (الصــابرين) على (ذوي القربى)، ولكن النحاس رفض هذا الرأي بل خطأه قائلا: "وهذا القــول خطأ وغلط بين؛ لأنك إن نصبت (والصابرين) على (ذوي القربى) دخل في صلة (من) من قبل أن تتم الصلة وفرقت بين الصلة والموصول بالمعطوف".

وقــيل[35]: (الموفــون) عطف على المضمر الذي في (آمن) و(الصابرين) عطف على ذوي القربى.

وقال أبو جعفر[36]: "يكونان منسوقين على ذوي القربى وعلى المدح"

نقــول: هــذه التوجــيهات والاختلافات منشأها العامل النحوي ومحاولة تبرير الحركة الإعرابية استنادا إلى نظرية العامل وإقامة المبنى من غير اهتمام كبير بالمعنى،

ومــن غــير اهتمام بالحقيقة التي تؤكد أن العربي لم يكن يعرف في سليقته في التعبير نســقا ولا فــاعلا ولا مفعولا، ولا تقدير أعني ولا أمدح...... الخ، بل كان ينطق بصوت معيــن معــبرا عن فكرة معينة يغير هذا الصوت ليعبر عن فكرة جديدة في ذهنه نستدل نحــن علــيها بالصــوت الذي عبر العربي به، وهذا الصوت استقر أمر الاصطلاح عليه الحركة الإعرابية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون والألف والواو والياء....).

ولــو حاولنا تفسير هذه الآية على ضوء المعنى فإننا سنجد أن علينا أن نبحث لهــذا الاســتعمال القرآنــي عــن نظير في الاستعمال اللغوي عند العرب، ليصب النص القرآني في الاستعمال اللغوي عند العرب، فهو منه في أرفع درجة بيانية.

جاء في شعر العرب[37]:

لا يبعــدن قومــي الذيــن هــم ســم العــداة وآفــة الجــزر

النازليــن بــكــل مــعــتــرك والطيـبــون معــاقــد الأزر

بنصب النازلين.

وقال آخر (أمية بن عائذ الهذلي):

ويــأوي إلــي نســوة بائســات وشعثــاً مراضيــع مثل السعــالــي

بنصب شعثا.

وقال الشاعر:

وكل قــوم أطاعــوا أمــر مرشدهــم إلا نميــرا أطاعت أمــر غاويــهــا

الظاعــنــيــن ولما يظعــنــوا أحــدا والقــائلــون لمــن دار نُخلّــيــهــا

بنصب الظاعنين.

وقال آخر:

إلى الملك القَــرْمِ وابــن الهمـــام وليــث الكــتيبـــة في المُزدَحَم[38]

وذا الــــرأي حيــن تَعــمّ الأمــــور ذات الصليــــل وذات اللـــجـــم

ومنه قول الشاعر:

فليت التي فيهــا النجــوم تواضعــت على كـــل غــث منهـــم وسميـــــن

غيوث الورى في كل محــل وأزمـــة أسود الســـرى يحميـــن كـــل عريـــن

ومـــنه قوله تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)(النساء: 162).

وهـنا نقول: إن القول في هذه القضية متصل اتصالا وثيقا بما قلناه في مسألة قوـله تعالى: (صبغة الله) البقرة: 138، وبيان ما للحركة الإعربية من قيمة دلالية، فهي تعـد عنصرا من عناصر تحويل الجملة من معنى إلى معنى[39] من غير أن نقرنها بعمل عــامل، فلم يكن العربي الذي كان يتكلم لغته سليقة يعرف عاملا ولا معمولا -كما ذكرنا سابقا- وإنما كان يعبر عن معنى في نفسه بكيفية نطق يغيرها لتعبر عن معنى آخر في ذهــنه، فنهــتدي نحــن السامعين إلى المعنى في ذهنه بما هو ماثل أمامنا منطوقا (أو مكــتوبا)، فالحــركة هـــنا مرتــبطة بمعنى، وإلا لكانت متصلة على نسق واحد بحركة المعطـوف علــيه كمـــا هو مستقر في جل لغة العرب، مرتبطة بمعنى غير المعنى الذي كانت تؤديه الكلمة في الجملة بحركتها الأخرى.

والـــذي نراه أن (الموفون) معطوف على خبر لكن (مَنْ آمن) سواء أكانت هي (من) الخبر قائما برأسه أم أنها سادة مسد المضاف المحذوف على تقدير: ولكن البر بر مـــن آمـــن بالله[40] وكثيرا ما تحذف العرب المضاف وتجعل المضاف إليه يباشر الموقع التركيبـــي والدلالـــي في الجملة، كقوله تعالى: (واسأل القرية) [41] كما يحذفون المنعوت ويحلون النعت محله[42].

فــتكون بذلك (الموفون) متسقة في المبنى والمعنى مع حركة ما عطفت عليه: (ولكـــن الـــبر مـــن آمـــن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وهذا هو رمز العقـــيدة، فلـــيس بمؤمن من لم يؤمن بالله، أو برسوله أو باليوم الآخر، أو بالملائكة أو

بالكتاب أو بالنبيين، فإن حققها الإنسان حقق أركان الإيمان، فينصرف بعدها إلى الخطوة الثانية مما يستحث عليه المسلم المؤمن (وآتى المال على حبه) لمن يعطيه؟ فيأتي الإرشاد القرآني الإلهي: (ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) وهذا رمز التصرف السلوكي السليم في ضوء العقيدة السليمة، رمز التصرف نحو الآخرين في مجتمع يعيش فيه هذا الذي آمن بالله...... فصحت عقيدته.

ثم جاء التكليف الثالث المترتب على صلاح العقيدة (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وهذا رمز التصرف في حقوق الله في أركان الإسلام، فمن صلحت عقيدته فقد وجب أن يكون من عناصر إبراز صلاح العقيدة للتصرف السليم نحو حقوق الله وحقوق المجتمع.

ثم جاء التكليف الرابع(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) أليست هذه المهام عسيرة عسيرة؟! بلى وربي، إنها لغاية في العسر لا تقوى عليها إلا كل نفس صفت وشفت وأخلصت النية إلى باريها، بل إن كل بند من بنود كل تكليف يحمل مشقة ليس باليسير أن ينهض به الإنسان إلا بتأييد من المولى عز وجل.

ونحن نعرف أن جل المسلمين يعتنقون الإسلام ويقولون: أشهد أن لا إله إلا الله، ولكنهم لا يتصرفون في ضوئها، فهم يداورون ويمارون ويتهاونون في حدود الله، بل يكسرونها سعيا وراء الجاه أو المال أو السلطان، وهم يعلمون أن ذلك لا يتفق مع مقولتهم أو شهادتهم تلك، يالها من مشقة: إن شهدت أن لا إله إلا الله، فاعلم أن عليك أن تعلم وأن تتصرف في ضوء ما تعلم: الله وحده الرزاق وهو وحده قاطع الرزق، كما أنه وحده المنصف، وهو وحده المعطي والسالب لما يعطي،وهو الحاكم وحده فلا الثناء إلا له ولا رضوخ إلا لعظمته ولا سلطان إلا منه ولا قوة إلا به، ولا قضاء حاجة إلا بعونه وبه ومنه، ولا رزق إلا مما وسع ملكه هو وليس في الرزق ما في يد الآخرين، فهو الذي يهب ويأخذ، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت ويرفع ويخفض، فإن أعطى لغير عابد فقد ابتلاه، يمد له مدا، وإن خفض أو حرم عابدا فقد أعطاه أجر الابتلاء، فكل من العطاء والحرمان ابتلاء (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي

أكرمــن، وأمــا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) إنها طبيعة الإنسان (لا يرى الخير إلا في ما ظاهره الخير.......).

هذه واحدة: (وحدانية الله) وما فاتنا الحديث فيها أكبر وأكثر مما ذكرنا.

فمــاذا نقــول عــن التكليف في شهادة: أن محمدا رسول الله، من التصديق به والتصــديق بما جاء به وتصديقه وتصديق كل كلمة علمها عن ربه أو نطقها في حديثه الشــريف، والتصــديق يقتضــي العمل، أليست هذه مهمة عسيرة؟، حقا عسيرة، أليست مهمــة لــم يتمكــن حتى أصحابه عليه وعلى آله أفضل الصلاة من القيام بها كما يجب فانقلبوا على أعقابهم خاسرين، جاء في صحيح البخاري، في باب الحوض وهو في آخر كــتاب الــرقاق ص94 من الجزء الرابع بإسناد إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

"بيــنما أنا قائم فإذا زمرة حتى عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، قال: هلم، قلت أين؟.

قــال: إلــى الــنار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: إلى أيــن؟ قــال إلــى النار والله، قلت وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك القهقري، فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم".

وجــاء في صحيح البخاري أيضا في الباب ذاته عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قــال النبــي صــلى الله علــيه وسلم: "إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وســيؤخذ نــاس دونــي، فأقول: يا رب،مني ومن أمتي!!، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعــدك؟ والله مــا برحوا يرجعون على أعقابهم، فكان ابن مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا".

وأخــرج فــي الباب نفسه أيضا عن ابن المسيب أنه كان يحدث النبي صلى الله علــيه وســلم قــال: "يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلأون عنه، فأقول يا رب، أصحابي!!! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى".

يجدون سبيلا لصرف أموالهم في غير قلائد الحسان في سهرات يضرب فيها الدف ويدار فيها الشراب وترقص فيها الغانيات (الفنانات)؟!!!.

فكـيف لـو تحدثـنا عن العهد ونقضه والوفاء به، فلو تحدثنا عن العهود التي حصـلت زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدها وما جرى عليها لطال بنا الحديث ولاحـتاج الأمر إلى مئات الصفحات، ويكفي أن نذكّر بقوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أعطـى عهـد الله ثـم نقضه فالله ينتقم منه، ومن أعطى ذمة النبي ثم غدر بها فالنبي خصمه يوم القيامة"[43].

ويكفـي أن نقول في عسر تحقيق البر الذي جاء في هذه الآية (ولكن البر......) إن جـل المفسـرين ذهـبوا إلى أن هذه صفات الأنبياء[44] فهم وحدهم الذين يستطيعون تحقـيق هـذه الصفات، ومنهم من قال بأن المقصود بهذه الآية هو الإمام علي بن أبي طالـب[45] ؛ وقـال الـزجاج والفراء: "هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين لأنهم الذين يجمعـون هـذه الصـفات" وجاء في الدر المنثور[46] "من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان".

ألا يسـتحق هـذا كلـه الصبر، الصبر عليه والصبر لتحقيقه، والصبر على ما يسببه، والصبر ... "والصبر في الإسلام رمز كبير، وأمر عظيم: للوصول إلى الغاية.... للوصـول إلـى مرضـاة الله ورضاه، ولتحقيق أوامر الله واجتناب نواهيه... (اصبروا وصـابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)، (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

ألا يسـتحق الصـبر أن ينفرد بحركة تخالف حركة النسق، والتغيير في الحركة الإعرابية عنصر من عناصر التحويل في المعنى[47] ، وهنا تتضح دلالة نصب (الصابرين) تعظيما وإكبارا وتقديرا ومدحا....الخ.

ألـيس هـذا هو الاتساق مع ما نطقت به العرب سجية من غير معرفة بأبواب الـنحو التـي تعرف، ومن غير معرفة بعامل أو معمول، أليس في ذلك إغلاق باب الغث مـن الكلام الذي قيل في حق القرآن الكريم مما لا يليق بعظمته وعزته، جاء في تفسير

القرطبي نص اقتبسه هنا لأبين خطورة الجري وراء تعدد وجوه الإعراب من غير تفكير فيما يجره من ويلات على المعنى، فتأمله، يقول القرطبي[48]: "وقال بعض من تعسف في كلامـــه: إن هـــذا غلـــط من الكتاب حين كتبوا مصحف الإمام، قال: والدليل على ذلك ما روي عـــن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها، وهكذا قال في سورة النساء (والمقيمين الصلاة) وفي سورة المائدة (والصابئون)".

مسألة:

(ســل بنـــي إســـرائيل كـــم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته، فإن الله شديد العقاب) (البقرة:211)

اختلف النحاة في موضع (كم) من الإعراب[49] ، فقيل في موضع نصب على أنها مفعول ثان لآتيناهم، وهذا مذهب الجمهور[50] أو على مذهب السهيلي.

وقيل: في موضع نصب على إضمار فعل يفسره ما بعده وهذا رأي ابن عطية[51] ، جعـــل ذلك من باب الاشتغال، فقيل[52]: كم في موضع نصب إما بفعل مضمر بعدها لأن لها صدر الكلام، وتقديره كم آتيناهم، أو بإتيانهم".

ورد عليه أبو حيان قائلا[53]: "وهذا غير جائز إن كان قوله (من آية) تمييزا لكم؛ لأن الفعـــل المفسر لهذا الفعل المحذوف لم يعمل في ضمير الاسم الأول المنتصب بالفعل المحذوف ولا في سببيته، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون من باب الاشتغال".

ونحـــن نوافـــق أبا حيان في الحكم وإن كنا نختلف معه في التعليل كما سيأتي، وأجـــاز ابن عطية وغيره[54] أن تكون (كم) في موضع رفع بالابتداء، والجملة من قوله (آتيـــناهم) فـــي موضـــع الخبر والعائد محذوف، التقدير: آتيناهموه، قال أبو حيـــان[55]: "وهـــذا لا يجـــوز عند البصريين إلا في الشعر، وعند الكوفيين لم يجز إلا في الاضطرار" وزاد القرطبـــي[56] "ولـــم يعـــرب" وهـــي اسم لأنها بمنزلة الحروف لما وقع فيه معنى الاستفهام، وإذا فرقت بين كم وبين الاسم، كان الاختيار أن تأتي بمن كما في هذه الآية، فإن حذفتها نصبت في الاستفهام والخبر، ويجوز الخفض في الخبر كما قال الشاعر:

كـــم بجـــودٍ مقـــرف نـــال العـــلا

وكريـــــم بخلــــه قـــــد وضعــــه

ونســـأل: مـــا الميزان الذي اعتمده القرطبي وغيره في اسمية (كم) هذه، أتشير إلـــى مســـمى كمـــا جـــاء في حد الاسم عند سيبويه إنه يدل على مسمى كرجل وفرس وحائط؟!، أم أنها تقبل علامات الاسمية كما وردت عند ابن مالك:

بـــالجـــر والـــتنويـــن والـــنــــدا وال

ومسنـــــد للاســـم تمـــيـــز حصــــــل

ونســـأل أيضا: أين يكمن معنى الاستفهام في موضعي الاستشهاد عند القرطبي (الآيـــة وبيت الشعر)؟ أفيهما استفهام أم أنهما خبريتان تقريريتان؟! أليس في إدخالهما فـــي الاســـتفهام إفساد واضح للمعنى خدمة لمبنى (كم) الذي ألفنا وجوده في الاستفهام فأخذنا نؤول كل شيء لخدمة هذا الوجه، فإن كانت للاستفهام حقا فما الجواب المتوقع، فكل سؤال يحتاج إلي جواب، وهل هذا سؤال بحاجة إلى جواب؟!!.

يقـــول أبو حيان[58]: "ورُجْحانه هو أن تكون (كم) في موضع نصب على ما ذكر في البداية، و(كم) هنا استفهامية ومعناها التقرير لا حقيقة الاستفهام".

أليس هذا بغريب أن يقوله أبو حيان بخاصة، وهو الطود الشامخ في علم النحو والمعنى والتفسير؟!! وقد رتب على تعدد الآراء السابقة قول في (من آية).

فقـــيل هي تمييز لكم، ويجوز دخول من على تمييز الاستفهامية والخبرية سواء وليها أو فصل بينهما بجملة وبظرف ومجرور[59].

وقـــيل: هـــي مفعـــول ثان لآتيناهم وذلك على التقدير الذي ذهب إليه من جواز نصب (كم) بفعل محذوف يفسره آتيناهم[60].

وعلـــى التقدير الذي قدره صاحب البحر[61] من أن (كم) تكون كناية عن قوم أو جماعـــة، وحـــذف تميـــزها لفهم المعنى، فإذا كان كذلك، فإن (كم) خبرية فلا يجوز أن تكـــون (من آية) مفعولا ثانيا لأن زيادة (من) لا تكون في الإيجاب على مذهب البصريين

غـير الأخفـش، وإن كانت استفهامية فيمكن أن يقال يجوز ذلك فيه لانسحاب الاستفهام على ما قبله، وفيه بعد؛ لأن متعلق الاستفهام هو المفعول الأول لا الثاني.

فانظـر بـالله ماذا ترى غير مجموعة من أقوال الرفض المتعددة على الصنعة النحوية وتبرير القبول وعدمه بالتعلق والعامل، أما نصيب المعنى فلا قيمة له، ولا عبرة لكون (كم) استفهامية أو خبرية، ولا فرق بين أن تكون (من آية) في موضع التمييز أو تكون في موضع المفعول به؟!.

يقـول الطـبري[62]: "يعنـي بذلك جل ثناؤه: سل يا محمد بني إسرائيل الذين لا ينـتظرون بالإنابـة إلى طاعتي والتوبة إلي بالإقرار بنبوتك وتصديقك فيما جئتم به من عـندي، إلا أن آتـيهم فـي ظلل من الغمام وملائكتي.......... (وقد) آتاهم الله آيات بيـنات: عصـا موسى ويده، وأقطعهم البحر وأغرق عدوهم وهم ينظرون، وظلل عليهم الغمـام، وأنـزل علـيهم المن والسلوى، وذلك من آيات الله التي آتاها بني إسرائيل في آيـات كثـيرة غـيرها، خـالفوا معها أمر الله، فقتلوا أنبياء الله ورسله، وبدلوا عهده ووصيته إليهم".

إذاً فالآيـة تتعلق بكثرة البينات التي قدمها الله لبني إسرائيل، ولكنهم ما يزالوا يـناورون ويكذبون، ويضعون العراقيل في سبيل من يعتزم الإيمان برسول الله صلى الله علـيه وسـلم بطلب المزيد من البينات، فجاء الرد من جنس الحديث، وكأنه يقول لهم: وهـل السـر فـي تبديل نعمة وتحريفها أنكم تفتقرون إلى الأدلة والبينات؟!! فعندكم من البيـنات كثير كثير، فترى أن (كم) هنا هي كم الخبرية التي تفيد الكثرة أو التكثير، وهي ليسـت باسم ولا فعل، شأنها في ذلك شأن كم الاستفهامية، فكل منهم عنصر يضاف إلى الجملـة ليفيد معنى جديدا، وينقلها من بعدها الدلالي الأول إلى بعد دلالي آخر، فهي أداة لها دور دلالي كما يلي:

(سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)

===> آتينا بني إسرائيل آيات بينات

= ف + فا + مف + 1 (متلازمان) + مف 2 (متلازمان)

===> كم آتينا بني إسرائيل آيات بينات.

= عنصر تكثير + ف + فا + مف 1 + مف2

===> كم آتينا بني إسرائيل من آية بينة.

= عنصر تكثير + ف + مف 1 (متلازمان) + 7 (مف 2 متلازمان).

مسألة:

(ولا تجعلــوا الله عرضـــة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم) (البقرة: 224)

اختلف النحاة في موقع (أن تبروا) من الإعراب ، ترتب عليه اختلاف في تفسير الآية على وجوه[63].

قال الزجاج[64] وتبعه التبريزي[65] (أن تبروا) في موضع رفع بالابتداء والمعنى بركم وتقواكم وإصلاحكم أمثل وأولى، وقدم التبريزي خبر المبتدأ المحذوف بأن المعنى: "أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس خير لكم من أن تجعلوا الله عرضة لأيمانكم".

قـــال أبو حيان[66]: "وما ذهب إليه التبريزي والزجاج ضعيف؛ لأن فيه اقتطاع أن تبروا مما قبله، والظلم هو اتصاله به ولأن فيه حذفا لا دليل عليه".

ولكـــن ما ذكره الزجاج في معانيه غير ذلك[67]: "موضع أن نصب بمعنى عرضة: المعنى لا تعرضوا باليمين بالله في أن تبروا، فلما سقطت (في) أفضى لمعنى الاعتراض، فنصب أن...... والنصب في (أن) في هذا الموضع هو الاختيار عند جميع النحويين".

وهـــذا الوجـــه (النصـــب) هـــو اختيار سيبويه[68] "وأكثر النحويين أن موضعه النصب؛ لأنه لما حذف المضاف وصل الفعل وهو القياس".

قال الزمخشري[70]: "أن تبروا وتتقوا وتصلحوا" عطف بيان لأيمانكم؛ أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس".

قال أبو حيان[71]: "وهو ضعيف؛ لأن فيه مخالفة للظاهر؛ لأن الظاهر من الإيمان هـي الأقسام والبر والتقوى والإصلاح هي المقسم عليها، فهم متباينان، فلا يجوز أن يكـون عطف بيان على الإيمان، لكنه لما تأول الإيمان بالأشياء المحلوف عليها ساغ له ذلـك، وقـد بيـن لـنا المعنى أنه لا حاجة تدعونا إلى تأويل الإيمان بالأشياء المحلوف علـيها، وعلى مذهبه تكون (تبروا) في موضع جر، ولو ادعى أن يكون تبروا وما بعده بدلا من إيمانكم لكان أولى؛ لأن عطف البيان أكثر ما يكون في الإعلام".

وقـيل[72]: (أن تبروا) في موضع المفعول من أجله، ولكن القائلين بهذا اختلفوا فـي التقدير، فقيل: كراهة أن تبروا، وهذا رأي الكوفيين[72] ، وقيل: لترك أن تبروا، قاله المبرد[73] ، وقيل لأن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا، قاله أبو عبيده والطبري[74] ، وقيل: إرادة أن تـبروا[75] ، وروي هـذا المعـنى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن جريج وقـتادة وإبراهـيم والضحاك والسجي ومقاتل والفراء وابن قتيبة والزجاج في آخر من روي عـنهم أن المعـنى: لا تحلفوا بالله أن لا تبروا، فتعلق بقوله: ولا تجعلوا، قال أبو حـيان: "ولا يظهـر هـذا المعنى لما فيه من تعليل امتناع الحلف بانتفاء البر، بل وقوع الحلف معلل بانتفاء البر، فينعقد منه شرط وجزاء لو قلت في معنى هذا النهي وعلته إن حلفـت بـالله بـررت لم يصح، فلا يترتب على الامتناع من الحلف انتفاء البر، ولا على وجـوده وجـوده، بـل يترتب على الامتناع من الحلف وجود البر، وعلى وقوع الحلف انتفاء البر.

وهـذا الـذي ذكرناه يؤيد القول بأن التقدير: إرادة أن تبروا؛ لأنه يعلل الامتناع من الحلف بإرادة وجود البر، ويتعلق منه الشرط والجزاء".

وقـيل: إن المعـنى فـي الآيـة إنما نهيكم عن هذا لما في توقي ذلك من البر والـتقوى والإصلاح، فتكونوا –معاشر المؤمنين– بررة أتقياء، أورده أبو حيان[76]. وقد جعـل الزمخشـري تعلـق الـلام في لأيمانكم بالفعل فقال[77]: "فإن قلت: بم تعلقت اللام لأيمـانكم؟ قلـت بـالفعل؛ أي لا تجعلـوا الله لأيمانكم برزخا ومجازا، ويجوز أن يتعلق

بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض؛ بمعنى لا تجعلوا شيئا يعترض البر، من اعترضني كذا".

وقال أبو حيان[78] ردا على الزمخشري: "ولا يصح هذا التقدير؛ لأن فيه فصلا بين العامل والمعمول بأجنبي؛ لأنه علق (لأيمانكم) بتجعلوا، وعلق (أن تبروا) بعرضة، لا يجوز فقد فصل بين (عرضة) وبين (لأن تبروا) بقوله (لأيمانكم) وهو أجنبي وهذا لا يجوز".

وقيل[79]: "أن (أن تبروا) في موضع نصب على إسقاط الخافض والعامل فيه قوله (لأيمانكم)، التقدير: لإقسامكم على أن تبروا، فنهوا عن ابتذال اسم الله تعالى وجعله معرضا لأقسامهم على البر والتقوى والإصلاح اللاتي هن أوصاف جميلة لما نخاف في ذلك من الحنث، فكيف إذا كانت أقساما على ما تنافي البر والتقوى والإصلاح، قال أبو حيان[80]: "وعلى هذا يكون الكلام منتظما واقعا كل لفظ منه مكانه الذي يليق به".

وخلاصة القول إن في موضع أن (تبروا) ثلاثة أقوال: الرفع على الابتداء، والخلاف في تقدير الجر، والجر على وجهين عطف البيان والبدل، والنصب على وجهين: إما على المفعول من أجله على اختلاف في تقديره، وإما على أن يكون معمولا لأيمانكم على إسقاط الخافض[81].

قال النيسابوري في أسباب نزول هذه الآية[82]: "نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه بشر بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبدا ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته، ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل إلا أن أبر في يميني، فأنزل هذه الآية".

وخلاصة ما جاء في هذه الآية في ما ورد عند الطبري[83]: "أنها نهي للرجل يحلف على ما لا يصلح، وفي عمله قطيعة وعدم تقوى وعدم إصلاح، وعليه إن فعل أن يكفّر عن يمينه وأن يفعل الذي هو خير".

نقول: إن القول بوجه الرفع لا يستقيم المعنى معه: بركم وتقواكم وإصلاحكم أولى...، ففيه تقدير لا يحتاجه التركيب ولا يقتضيه المعنى، وفيه فصل بين الجملة: ولا

تجعلــوا الله عرضـــة لأيمانكم ومقتضاها، والقول بالجر مردود أيضا، فهو إما على البدل وهذا فساده بين، فالبدل يحل محل المبدل منه، فإن حصل ذلك فسد المعنى كليا، وإن كان على عطف البيان فالقول فيها لا يختلف كثيرا عما قاله أبو حيان في رده، بالإضافة إلى ما قلناه في البدل.

أما النصب على المفعول من أجله فهو الوجه – في ما نرى – وعلى تقدير: من أجـل أن تــبروا، فمناســبة الآيــة واضحة الدلالة فهي نهي من يتخذ من اليمين سبيلا للإقلاع عن عمل البر، فتكون العلاقة الدلالية كما يلي:

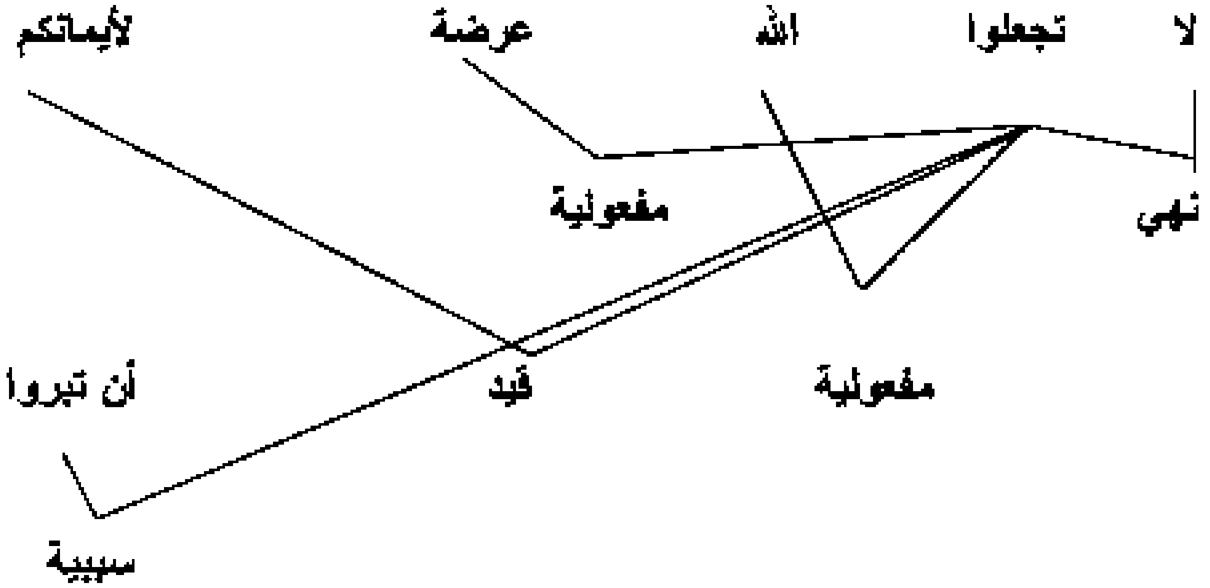

الهوامش

1- انظـر: الطـبري 570/1، القرطبي 144/2، معاني الزجاج 215/1، الكشاف 316/1، معانـي الفراء 82/1، البحر المحيط 411/1، الميزان 310/1، تبيان الطوسي 485/1، مجمع البيان 407/1، وانظر شرح المفصل 11/1.

2- الطبري 570/1.

3- معاني الفراء 83/1.

4- معاني الأخفش 150/1، القرطبي 144/2.

5- البحر 411/1 –412.

6- القرطبي 144/2.

7- البحر 412/1.

8- البحر 412/1، القرطبي 144/2.

9- انظر خليل عمايره: في نحو اللغة وتراكيبها، الفصل الثالث.

10- وقـد فصـلنا القول فيها في الفصل الثالث من كتابنا في نحو اللغة وتراكيبها،، وانظر الكتاب: 255/1 وما بعدها، شرح المفصل: 92/2، شرح ابن عقيل: 299/3، الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة- الهمع: 170/1، ابن الناظم ص 235.

11- انظر في هذه المسألة: معاني.

12- الفراء 103/1ـ104.

13- وانظر معاني الزجاج: 246/1.

14- القرطبي: 238/2، مجمع البيان: 473/1، وتبيان الطوسي: 94/2.

15- وانظر الطبري: 894/2، والدر امنثور: 410/1 ـ 417، تبيان الطوسي:94/2 ـ 95، الميزان 428/1.

16- وانظر الطبري: 94/2.

17- السابق.

18- انظر الهمع: 28/2، شرح المفصل: 98/1، والمغني: 588.

19- وانظر البحر المحيط: 2/2.

20- السابق.

21- السابق.

22- وانظر خليل عمايره: أسلوبا النفي، والاستفهام في اللغة العربية.

23- الكتاب: 12/1.

24- وانظر خليل عمايره: في نحو اللغة وتراكيبها، الفصل الثالث.

25- م = مبتدأ، خ = خبر، ن = عنصر نفي.

26- البحر المحيط: 2/2، وانظر الكشاف: 330/1 ـ 331.

27- القرطبي: 238/2، وانظر البيان: 140/1.

28- الهمع: 64/1.

29- معاني الفراء: 105/1 ـ 108، وانظر في المسألة مجاز القرآن: 65/1 ـ 66.

30- القرطبي: 239/2.

31- السابق.

32- معاني الزجاج: 247/1.

33- السابق.

34- إعراب النحاس: 231/1 ـ 232.

35- السابق: 323/1.

36- السابق.

37- وانظر الكتاب: 202/1، معاني الفراء: 107/1 ـ 108، القرطبي: 239/2، الطبري: 2/100، الإنصاف ص 189، الخزانة: 414/4، إعراب النحاس: 231/1 ـ 232.

38- وفي هذين البيتين أقوال، انظرها في هامش الطبري: 100/2.

39- وانظر: خليل عمايره في نحو اللغة، وتراكيبها، الفصل الثالث.

40- وانظر: القرطبي: 138/2، تبيان الطوسي: 95/2.

41- وانظر شرح المفصل: 23/3.

42- وانظر شرح ابن الناظم ص195.

43- الدر المنثور: 417/1.

44- انظر معاني الفراء: 104/1، ومعاني الزجاج: 346/1.

45- وانظر تبيان الطوسي: 99/2.

46- الدر المنثور: 417/1.

47- وانظر خليل عمايره: في نحو اللغة وتراكيبها، الفصل الثالث.

48- القرطبي: 240/2، وانظر الكشاف، وأبو حيان والألوسي فقد ناقشوا هذا القول الكاذب المنسوب في تفسيرهم آية النساء 162.

49- انظـر فـي هذه المسألة: الطبري: 332/2، القرطبي: 27/3، الفراء: 125/1، مشكل إعراب القرآن: 125/1، معاني الزجاج: 280/1، الدر المنثور: 581/1، البحر المحيط: 126/2، تبـيان الطوسي: 190/2، مجمع البيان: 539/2، الميزان: 110/2، الكشاف: 354/1.

50- البحر: 126/2.

51- السابق.

52- السابق.

53- السابق.

54- البحر: 126/2، القرطبي: 27/3.

55- البحر 126/2، وانظر: القرطبي: 27/3، الكشاف: 354/1.

56- القرطبي: 27/3.

57- الكتاب: 12/1.

58- البحر: 126/2.

59- وانظر القرطبي: 27/3، والبحر المحيط: 127/2.

60- البحر: 127/2.

61- السابق.

62- الطبري: 332/2، وانظر تبيان الطوسي: 190/2.

63- انظر هذه المسألة: معاني الفراء: 144/1، الطبري: 399/2، معاني الزجاج: 298/1، القرطبي: 97/3، المشكل: 130/1، إعراب النحاس: 262/1، البيان: 155/1، الكشاف: 362/1، البحر المحيط: 177/2، الدر المنثور: 642/1، الإملاء: 94/1، أسباب النزول: 54، الميزان: 222/2، مجمع البيان: 566/2، تبيان الطوسي: 225/2.

64- معاني الزجاج: 298/2.

65- البحر المحيط: 177/2.

66- البحر: 177/2.

67- معاني الزجاج: 298/1 ـ 299.

68- الكتاب.

69- الطوسي: 227/2.

70- الكشاف: 363/1.

71- البحر: 177/2.

72- إملاء ما من به الرحمن: 94/1 ـ 95، البحر: 178/2.

73- المقتضب، البحر المحيط: 178/2.

74- الطبري: 412/2.

75- البحر: 178/2.

76- البحر: 178/2.

77- الكشاف: 362/1 ـ 363.

78- البحر: 178/2.

79- السابق.

80- السابق.

81- البيان: 155/1.

82- أسباب النزول: 54.

83- الطبري: 400/2 ـ 403.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الأزهية في علم الحروف- علي بن محمد الهروي، ت عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية - دمشق 1982.

3- أسلوب التوكيد في اللغة العربية، خليل عمايره - دار الفكر الإسلامي- عمان- الأردن.

4- أسلوبا النفي والاستفهام في اللغة العربية، خليل عمايره -دارا لفكر الإسلامي عمان- الأردن.

5- أسباب النزول - للوحداوي النيسابوري، دار الكتاب الجديد - 1341هـ.

6- إعراب القرآن أبو جعفر النحاس، ت: زهير زاهر، مطبعة الأماني، بغداد 1977.

7- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، ـ: محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة، والمكتبة التجارية الكبرى.

8- إملاء ما من به الرحمن، أبو البقاء العكبري -مطبعة الحلبي- القاهرة.

9- البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي، مطبعة السعادة -مصر، ودار الفكر، 1983.

10- تأويل مشكل القرآن- ابن قتيبة، ت السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي- مصر 1954.

11- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ت علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي 1976.

12- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1963.

13- التبين عن مذاهب النحويين- البصريين والكوفيين أبو ابقاء العكبري، ت عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.

14- تفســير القرطبــي، محمد بن حمد الأنصاري: (الجامع لأحكام القرآن) مؤسسة مناهل العرفان، بيروت 1990.

15- تفســير الطــبري: جــامع البيان عن تأويل مشكل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1953.

16- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1982.

17- توضــيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لابن أم قاسم المرادي، ت علي بن سلطان الحكمي، 1985،ط2، مكتبة الكليات الأزهرية.

18- الجني الداني في حروف المعاني، لابن أم القاسم المرادي، ت فخر الدين قباوة وآخر، دارالآفاق الجديدة، بيروت 1983.

19- حجة القراءات، لابن أبي زنجلة، ت سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت 1982.

20- خــزانة الأدب ولــب لباب لسان العرب، عبد القاهر البغدادي، ت عبد السلام هارون، وطبعة بولاق المصورة.

21- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت محمد النجار، دار الكتب المصرية- القاهرة 1953.

22- الــدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، جلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي 1314 هـ.

23- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت 1978.

24- رأي في اسم الإشارة في مبناه ومعناه، خليل عمايره، المجلة الدولية للتواصل اللساني المغرب العربي، عدد، 1991.

25- روح المعاني، للآلوسي، ت طه الزيني، دار الزيني للطبع والنشر.

26- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت شوقي ضيف، دار المعارف- مصر.

27- شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم، ت عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجليل، بيروت.

28- شرح الشواهد الكبرى، للعيني، مطبوع على هامش طبعة بولاق المصورة من خزانة الأدب.

29- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب- بيروت.

30- الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، خليل عمايره، مجلة كلية الأداب، جامعة الإمارات عدد، 1991.

31- في التحليل اللغوي، خليل عمايره، دار المنار، الزرقاء، الأردن 1987.

32- في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايره، عالم المعرفة، جدة، السعودية 1984.

33- القيمة الدلالية للاسم الموصول في التركيب الجملي، خليل عمايره، المجلة العالمية للدراسات العربية والاسلامية، أمريكا 1991، عدد

34- الكتاب، سيبويه، طبعة بولاق سنة 1316 هـ، وطبعة عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت 1986.

35- الكشاف، الزمخشري، ط الاستقامة 1953

36- لسان العرب- ابن منظور- دار صادر- بيروت.

37- مجاز القرآن – أبو عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مطبعة الخانجي- القاهرة 1954م.

38- مجمع البيان في تفسير القرآن، للفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت 1986.

39- المسائل الغريبة في النحو، ابن هشام، ت علي البواب، دار طيبة، الرياض.

40- المساعد في تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، ت محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1980.

41- معاني القرآن –للأخفش، ت فايز فارس، دار البشير، عمان، 1981.

42- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ت عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت 1988.

43- معانـــي القـــرآن، الفـــراء، ت أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار، دار الكتب المصرية 1955.

44- مغنـــي اللبيـــب عـــن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت مازن المبارك، دار الفكر، بيروت 1983 وت محمد محي الدين عبد الحميد.

45- المقتضب- المبرد، ت محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

46- الملخـــص فـــي ضـــبط قوانين العربية، لابن أبي الربيع، ت علي بن سلطان الحكمي، 1985.

47- المـــيزان فـــي تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1937.

48- النشـــر فـــي القراءات العشر، لابن الجزري،مراجعة علي الضباع، دار الكتب العلمية بيروت.

49- نهـــج الـــبلاغة، للإمـــام علي بن أبي طالب، شرح ابن أبي الحديد، دار إحياء التراث العربي بيروت -لبنان.

50- همـــع الهوامـــع، شـــرح جمع الجوامع في علم اللغة العربية، جلال الدين السيوطي، مطـــبعة السعادة، مصر 1327هـــ، وت عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1979.